جامعة عين شمس
كلية الآداب
قسم اللغة العربية وآدابها

الأفعال المعتلة في اللغة العربية

(دراسة وصفية - تاريخية)

(رسالة دكتوراه)

إعداد الطالب
عبد الوهاب عبده راوح

إشراف

الأستاذ الدكتور
رمضان عبد التواب
عميد كلية الآداب - جامعة عين شمس
سابقا

القاهرة ١٩٨٥ م

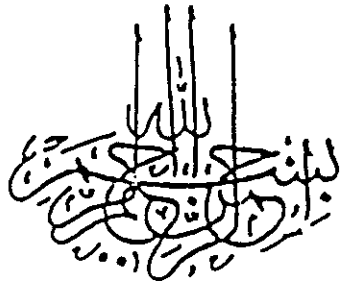

الإهداء

إلى الحقيقة التي أحمدني ظلاً لها

إلى ولدي : أيمن ، في رابع ربيع له

عرفـــــــان

إلى الانسان فى الأستاذ الدكتور. رمضان عبدالتواب
أتوجه بخالص الشكر وصادق التقدير .

عبد الوهاب راوح

شكر وتقديـــــــر

الى أستاذى الصادق ، الاستاذ الدكتور . رمضان عبد التواب ، أتوجه بخالص شكرى ، وعميق احترامى ، وذلك لتوليه رعايتى نواة ونبتا .

وللحق والعرفان أسجل :

ان اشراف هذا الأستاذ ليس مجرد اجراء أو تقليد أكاديمى فحســـب ، وانما هو اشراف من يحمل رسالة ، ويرسى قواعد مدرسة .

كما أتوجه بعميق شكرى واجلالى ، الى كل من :

الاستاذ الدكتور . عبد المجيد عابدين .الاستاذ بآداب الاسكندرية .

والاستاذ الدكتور . صلاح الدين حسنين .الاستاذ بكلية اللغات والترجمة .

لتفضلهما ، مشكورين ، بقبول مناقشة هذه الرسالة ، رغم تعـــــدد مسئولياتهما وزحمة ارتباطاتهما ، وأرجو أن أكون لدى حسن ظنهما ان شاء الله .

نفس العبارة بقوتها ، أتوجه بها الى جامعة صنعاء ، ممثلـــــــة برئيسها الاستاذ الدكتور عبد العزيز المقالح ، ومساعديه ، لحســـــــن مواقفهم ونضج تفهمهم لأحوال مبعوثى الجامعة .

كما أتقدم بخالص شكرى الى الأخوة ذوى الفضل المباشر ، وأخـــص بالشكر الدكتور يوسف محمد عبد الله ، العميد السابق لآداب صنعـــــــاء والأخ الدكتور عبده على مريش ، وعمى الفاضل . عبد الرحمن عبد الواسع ، والأخوة : الاستاذ أحمد حمود الحاج ، والمهندس . محمد بشر ، وصهـــرى . عبده أحمد الحاج .

الى الجميع خالص الشكر وعميق الاحترام ،،

عبد الوهاب راوح

المقدمة

(مقدمـــــة)

ليس بعيدا أن يقال : إن الجهود التى منحت لدراسة اللغة العربية ، قلما تضاهيها فيها لغة أخرى .

وترجع هذه الجهود إلى عوامل ، منها ما تتعلق بالظروف الدينيـــة والاجتماعية التى اكتنفت هذه اللغة ، ومنها ما تتعلق بالعلاقة الحميمـة التى تربط الانسان العربى بلسانه ، بحيث أدت هذه العوامل ، مجتمعـة ، إلى كون الجانب البيانى من أهم مقومات الشخصية الحضارية لهذه الأمة .

فمن الملابسات الخصوصية التى رافقت مسيرة هذه اللغة : أنهـــا جاءتنا مكتملة الشخصية ، فيها من النضج والاكتمال ما جعل النصـــوص الشهيرة (المعلقات) التى جاءتنا عليها تحتل مرتبة النموذجية فـــى الفكر اللغوى ، وبذلك فتاريخها هو نفسه تاريخ الشعر الذى طالعنا هـو أيضا بصورة فيها من النضج والاكتمال فى مقوماته وخصائصه ، ما جعل هـذه النصوص الأولى فى التاريخ الأدبى تحتل أيضا مرتبة النموذجية.

وبذلك فان تاريخ العربية ، وتاريخ شعرها يتزامنان فى نقطـــة البداية التاريخية الوثائقية ، تزامن نوع الانسان بلغته ، بحيـــث إن محاولة الوقوف على بداية الانسان هى نفسها محاولة الوقوف على بـــدء لغته .

والملاحظ أن الشعب العربى حين شملته رحمة الاسلام فأعرض عن الكثير من عاداته وسلوكياته الوثنية الأولى ، فإنه بقدر هذا الإعراض ، كـــان اعتزازه بلغة هذه الفترة ، كما يرى بروكلمان[1] ، مخالفا بذلك بعـــض الشعوب كالآراميين ، الذين انقلبوا على لغتهم (الآرامية) فى فتـــرة

---

(١) تاريخ الأدب العربى ، لبروكلمان ، ترجمة الدكتور عبد الحليـــم النجار ٣٨/١

وثنيتهم ، فخلعوا عليها اسما جديدا (السريانية) حينما دخلوا في الديانة المسيحية ، لأنهم رأوا في التسمية (الآرامية) ارتباطا بالحالة الوثنية التي كانوا عليها[1] . فترتب على ذلك تعرضها لكثير من عوامل الإماتة ، وانتهى الأمر إلى وجود فترتين لغويتين ، تتحول لغة الفترة الأولى إلى لغة شبه أثرية .

وبهذا نرى أن العربية في فترتها الأولى (الجاهلية) نجت من أثر هذا العامل الكبير ، في إحداث التحولات اللغوية .

ومن خصوصيات هذه اللغة ، أنها وفقت بنزول القرآن الكريم بها ، والى جانب كون القرآن الكريم أعظم نص بياني تشهده لغة من لغات العالم فإنه يأتي إلى جانبه الحديث الشريف ثانيا ، ثم يثلث الأمر بكون القرآن الكريم محور الدراسات التي قامت عليها المدنية الاسلامية .

ومن ثم فقد أعطت هذه العوامل ، مجتمعةً ، اللغة العربية عنصر الاستمرار والخلود ، فنجت مما وقعت فيه اللغات الأخرى من التحول والتبدل من لغة إلى أخرى تصبح فيه الأولى غريبة مجهولة .

وبعيدا عن الاسترسال النظري ، نأخذ معادلة بسيطة بين اللغتين : العربية والانجليزية ، لتقارب ما لديهما من مساحة تاريخية .

فالمؤرخون الانجليز يرجعون لغتهم إلى عام : ٤٤٩ بعد الميلاد[2] ، (وهو العام الذي استقرت فيه القبائل الجرمانية في السهول البريطانية) وبناء على هذا التاريخ فان لدى الانجليزية حوالى خمسة عشر قرنا

---

(١) في قواعد الساميات ١٢١ .

(٢) Victoria Fromkin & Robert Rodman : An Introduction to language. P. 280.

وبالتحديد : ١٥٣٦ عاما ، غير أن المؤرخين الانجليز يرجعون أقدم نص وصل اليهم من هذه اللغة ، لا يتجاوز القرن السابع الميلادى وبالتحديد (٧٠٠) بعد الميلاد[١] ، ويرون أن علم الفيلولوجيا المقارن هو المسئول عن إخبارنا بالطريقة التى كان أولئك الأسلاف المستعمرون ، يتكلمون بها فى القرون التى تسبق هذه الفترة .[٢]

وبذلك يكون لديها اثنا عشر قرنا ونصف قرن ، بناء على هذا التاريخ الوثائقى لأقدم نصوصها ، وهى بذلك تقترب من العربية التى لديها من التاريخ الوثائقى ما لا يربو على ستة عشر قرنا ، على أكثر الآراء تساهلا وتسامحا فى تحديد فترتها الوثائقية ، فى الفترة السابقة للاسلام ، التى لا تتجاوز قرنين من الزمان .

ولننظر فيما أحدثته عوادى الزمن فى كلتا اللغتين :

ففيما يتعلق باللغة العربية ، نلاحظ أن أقدم وثائق لها ممثلة فى المعلقات فيها من الوضوح والحضور ، ما نجده فى الفصحى المعاصرة ، حيث يرى الدكتور السعران " أننا نعتز بلغتنا اعتزازا يخيل إلينا أنها لم تتغير منذ أنزل القرآن الكريم ، أو أنها لم تتغير إلا فى أقل القليل ، فنحن فى دراسة مسألة ما ، قد نستشهد بشاعر جاهلى ، إلى جوار شاهد من صدر الاسلام ، إلى جوار شاهد عباسى وهكذا ."[٣]

فلغة الجميع متواصلة موصولة ابتداء من زهير وانتهاء بشوقى ، وإن كان ثمة تغير ، وهو أمر طبيعى ، إلا أنه لم يرق أبدا إلى مستوى ما يعرف بالفترات اللغوية ، على الحال الذى نشاهده فى اللغة الانجليزية ،

---

(١) Otto Jespersen : Growth and Structure of the English language. P. 17

(٢) Jespersen. Ibid. P17

(٣) علم اللغة ، مقدمة للقارىء العربى ، ص ٣٩

حين يقسمها مؤرخوها إلى :

- الانجليزية القديمة Old English (٤٤٩-١١٠٠) بعدالميلاد.
- الانجليزية المتوسطة Middle English (١١٠٠-١٥٠٠) بعدالميلاد
- الانجليزية الحديثة Modern English (١٥٠٠- حتى الآن)

(١)

ويرون أن التغير الذى حدث فيها خلال تاريخها " شمل النظام الصوتى ، والنظام التركيبى ، وقوانينه ، والنظام الدلالى ، وكل أجزاء قواعدها ".(٢)

كما ينص مؤرخوها أن الانجليزية القديمة - التى خصصت لدراستها بعض الكليات - " تدرس فى كثير من المجالات كأنها لغة أجنبية ، فرنسية أو سواحلية".(٣) فالنصوص المأثورة منها والتى تمثلها ترانيم (كيدمون Caedmon's Hymn) التى كتبت فى الفترة ما بين (٦٥٨ - ٦٨٠) ينظر اليها على أنها لغة أجنبية ".(٤) حتى إذا جئ إلى الانجليزية المتوسطة والمتمثلة فى مأثورات (تشوسر Chauser) تبدو وأنها أكثر سهولة فى فهمها ، وبعد مائتى سنة من فترة (تشوسر) تأتى مرحلة (شكسبير) لتمثل اللهجة الأولى فى صدارة الانجليزية الحديثة ، وذلك فى القرن السادس عشر.(٥)

بهذه المقابلة السريعة نرى أن الانجليزية أسلمت فيها كل مرحلة إلى الأخرى ، ثم ذهبت المرحلة الأولى إلى الظلام والانغلاق عن الفهم ،

---

(١) V. Fromkin : Ibid. P. 280

(٢) Ibide. P. 280

(٣) Ibide P. 279

(٤) Ibide. P. 279

(٥) Ibide. P. 280

عملا بسنة التطور اللغوى من ناحية ، ولافتقارها إلى تراث دينى يشد أهلها إليه من ناحية أخرى .

وبناء على هذه المقررات التاريخية يجدر بنا أن ننظر فى الافادة التى يمكن أن يقدمها المنهج التاريخى للغة العربية ، ومدى هذه الافادة .

فإذا عرفنا أن المنهج التاريخى ، أو علم اللغة التاريخى Historical Linguistics هو العلم الذى يدرس التغيرات اللغوية على مجرى الزمن بهدف :

- الوقوف على " الطرق " التى تنتهجها اللغات من فترة إلى أخرى .
- والوقوف على " العوامل" التى تقف وراء ذلك التغير.
- ثم الوقوف على" نتائج" ذلك التغير.(١)

فإن من خصائص هذا المنهج أن أقل مجالا يمكن التناول من خلاله ، توفر فترتين لغويتين ، أو أكثر ، من اللغة موضوع الدراسة(٢)، فإذا اختفى هذا العنصر تحول هذا المنهج إلى منهج وصفى .

والسؤال الذى يفرض نفسه بناء على هذا التعريف : هل يتوفر فى اللغة العربية وجود فترتين ، أو فترات لغوية ، بالمعنى الدقيق الذى شهدته باقى اللغات الأخرى ؟

وبعبارة أخرى : أيمكن لهذا المنهج أن يبرز لنا أن العربية عرفت هذه الفترات ، أو شبهها ،على غرار ما قدم وأبرز فى تناوله للغات أخرى؟

---

(١) R.H. Robins : General Linguistics An introductory Survey. P. 4

(٢) Robins : Ibid. 4

ولعل برجوعنا الى الدراسة التى قام بها المستشرق الالمانى يوهان فك فى كتابه " العربية دراسة فى اللغة واللهجات والأساليب " وكذلك بالرجوع إلى الأعمال التى قام بها الدكتور رمضان عبد التواب ، ما يمكننا من الإجابة على هذا السؤال . ورجوعنا إلى أعمال هذين الباحثين لا يمثل اختيارا يخدم مطلوبا مصادرا عليه ، بقدر ما هو رجوع إلى خير ما هو متاح ، مع عدم الاقلال من جهود الآخرين التى يغلب عليها طابع المقال ، وينقصها الكثير من لوازم علم اللغة التاريخى الذى لا يزال غض الإهاب فى الأوساط اللغوية العربية .

يقول يوهان فك مستهلا كتابه :

" لم يحدث حدث فى تاريخ اللغة العربية أبعد أثرا فى تقرير مصيرها من ظهور الإسلام ؛ ففى ذلك العهد - قبل أكثر من ١٣٠٠ عام - عندما رتل محمد صلى الله عليه وسلم القرآن على بنى وطنه بلسان عربى مبين ، تأكدت رابطة وثيقة بين لغته والدين الجديد ، كانت ذات دلالة عظيمة النتائج فى مستقبل هذه اللغة .... هذه العقيدة التى جعلت من العربية الفصحى نموذجا مفروضا ، ومثلا أعلى يقتفيه كل كاتب عربى ، جعلت من العسير بمكان أن نحصل على صورة واضحة للنمو والتطور الذى أصاب العربية ككل لغة حية فى مدة تربو على ثلاثمائة وألف عام " (١)

وقد توصل " فك " إلى هذه الحقيقة الثابتة ، بعد قراءة واسعة مستفيضة حيث شملت قائمة مصادره فيها أكثر من ٢٥٠ كتابا معظمها بالعربية (٢) غطت عصور العربية ، ابتداء من العصر الأموى ، وانتهاء بالعصر الحاضر ، ليختم عمله بقوله :

---

(١) العربية ، ترجمة الدكتور رمضان عبد التواب ١٣ ، ١٤

(٢) العربية (ملاحظة المترجم) ص ٥

" وإذا صدقت البوادر ، ولم تخطىء الدلائل ، فستحتفظ أيضا بهذا المقام العتيد من حيث هى لغة المدنية الإسلامية ، ما بقيت هناك مدنية إسلامية" (١)

وما أرخ له " يوهان فك " ، بعد تقرير هذه الحقيقة ، ليس مجال تفصيله هنا . غير أن ما تجدر الإشارة إليه أنه فى معرض حديثه عن تميز كل من المستوى الفصيح والمستوى المولد ، فى القرن الرابع الهجرى، يقول :

" وقد ساعد على اتساع دائرة نفوذ العربية أنها صارت لغة فصحى فى درجة ثابتة كاملة الحلقات ، ولم يعد لها تأثير حى متبادل مع لهجات البدو ، فلم يعد من المستطاع أن ينشأ المرء ويترعرع معها فى بيئة لغوية حية ، بل كان عليه أن يتعلمها كما يتعلم لغة ميتة داثرة " (٢)

ولعل ما يريد إيصاله فى هذه العبارة أن فى هذه الفترة حدث فصل بين لغة الأم ولغة الكتابة عكس ما هى عليه الحال فى الفترات السابقة ، غير أن فى قوله : " كما يتعلم لغة ميتة مندثرة" قد يوحى بفكرة الفترات على النحو الذى سبق عرفه فى اللغة الانجليزية ؛ وفى ذلك تجاوز .. ذلك أن البدوى على فهم كامل بهذه اللغة ، وإن لم يكن يستخدمها فعلا فى حياته اليومية ، وليس فى تعلمه معاييرها ، أو فى اكتسابه معجمها، ما يبرر تشبيهها بكونها لغة مندثرة ، خاصة إذا عرفنا أن " مكس موللر" يرى ، بغض النظر عن صواب ما يرى ، " أن الفلاح لا يزيد معجمه عن ثلاثمائة كلمة"_(٣)

---

(١) العربية (ملاحظة المترجم) ٢٤٢

(٢) العربية ١٧٥

(٣)

أما الدكتور رمضان عبد التواب ، فقد نظر إلى اللغة العربية من خلال ثلاثة محاور :

١ – تاريخ النصوص والنماذج العربية ، منطلقا من فترة اكتمال شخصيتها المتمثلة فيما يعرف باللغة النموذجية ، أو العربية المشتركة ، متجها بخط عكسى نحو الماضى السحيق ، مستهديا بمعطيات المنهجين : التاريخى والمقارن باللغات السامية .

٢ – تاريخ النصوص العربية فى إطار العربية المشتركة : لغة القرآن الكريم والحديث الشريف والتراث العربى ، متتبعا فيها النماذج التى تمثل بقايا مراحل لغوية قديمة ، أو تلك النماذج الموءذنة بحدوث مرحلة لغوية جديدة ، وبذلك قدم تفسيرا علميا لما يعرف بظاهرة الشاذ فى اللغة العربية .(١)

٣ – محور اللهجات العربية ، سواء تلك التى كان لها إسهامها فى تكوين العربية المشتركة من ناحية ، أو تلك التى انبثقت منها فى مختلف أقطارها من ناحية أخرى .

وقد أطلعنا ، بتمكن ، على نماذج عديدة ، يمثل كل منها موقعه فى حلقات التطور اللغوى(٢) ، وذلك على نطاق المحورين : الأول والثالث ، بصورة لا نرى مثيلا لوفرتها فيما يتعلق بالمحور الثانى : محور العربية الفصحى ، إذ نلاحظ أنه حين عرض فيها لتعقب النماذج التى تمثل بداية إرهاصات لحلقات لغوية جديدة ، نلاحظ أنه لم يتمكن من اقتناص الكثير ،

---

(١) انظر: فصول فى فقه العربية ، للدكتور رمضان عبد التواب ٨٦، وكتاب بحوث ومقالات فى اللغة ٥٧

(٢) من أهم أعماله فى هذا المجال : لحن العامة والتطور اللغوى ١٩٦٧، وفصول فى فقه العربية ١٩٨٠ ، والتطور اللغوى مظاهره وعلله وقوانينه ١٩٨١